الغاية في العلاقات الإنسانية بين الإسلام والرأسمالية

قيمة العطاء أنموذجا

" دراسة تأصيلية مقارنة "

إعداد الدكتور

مدني بن محمد قاسم كلفوت

الأستاذ المشارك بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية

كلية العقيدة والدعوة – الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

المملكة العربية السعودية

الغاية في العلاقات الإنسانية بين الإسلام والرأسمالية – قيمة العطاء أنموذجا – "دراسة تأصيلية مقارنة"

مدني بن محمد قاسم كلفوت
قسم الدعوة والثقافة الإسلامية، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية.
البريد الالكتروني: madani.kt@gmail.com

ملخص البحث:

يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على مفهوم الغاية في العلاقات الإنسانية بين دين الإسلام الذي حث على البذل والعطاء بغية حصول الخير والنفع؛ بما يعود على الفرد والمجتمع بنماء العلاقات الاجتماعية واستدامتها، تحقيقا لشريعة الله التي حثت على التآخي بين المسلمين لا سيما بالبذل والعطاء، مقارنة بقيمة العطاء في المذهب الرأسمالي؛ وتأثيرات اتجاهاته النفعية على العلاقات الإنسانية.

وذلك من خلال بيان التأصيل الشرعي لثبات قيمة العطاء والمقاصد الحسنة المترتبة على تطبيقه في العلاقات الإنسانية، في مقابل قيمة العطاء في الرأسمالية كمذهب وضعي يعتمد مبدأ تحقيق المصلحة الفردية.

منهج البحث: اقتضت طبيعة البحث اتباع منهج التأصيل والمقارنة؛ واستخلاص المادة العلمية من مظانِّها وفق ما يتناسب مع مقتضى وحاجة البحث.

أهم النتائج والتوصيات: ١. أهمية قيمة العطاء واتسامها بتوطيد العلاقات الإنسانية لتحقيق المصلحة الراجحة وفق مراد الله. ٢. يجب على الباحثين الاهتمام بالقيم الإسلامية ومقارنتها مع الفكر الغربي لاسيما مع تعدد وسائل الغزو الفكري لقيمنا الإسلامية.

الكلمات المفتاحية: الغاية، العلاقات، الإنسانية، العطاء، الرأسمالية.

The purpose in human relations between Islam and - capitalism - the value of giving as a model "A comparative study"

Madani bin Muhammad Qasim Kalfut
Department of Islamic Call and Culture, Islamic University of Madinah, Kingdom of Saudi Arabia.
Email: Madani.kt@gmail.com

Abstract :

This research aims to highlight the concept of the goal in human relations between the religion of Islam, which urged giving and giving in order to obtain good and benefit; In a way that brings the individual and society to grow social relations and their sustainability, in order to achieve the law of God, which urged brotherhood among Muslims, especially by giving and giving, compared to a valueGiving in the capitalist doctrine; And the effects of his utilitarian trends on human relations.And that is through a statement of legal rooting to stabilize the value of giving and good intentions resulting from its application in human relations, in exchange for the value of giving in capitalism as a position of position that depends on the principle of achieving the individual interest.

Research curriculum: The nature of the research required to follow the approach of rooting and comparison; And the extraction of the scientific material from its excessive; According to the requirement and need for research.

The most important results and recommendations: 1. 2Researchers must pay attention to Islamic values and compare them with Western thought, especially with the multiplicity of means of intellectual invasion of our Islamic values.

Keywords: purpose, relationships, humanity, giving, capitalism.

المقدمة

الحمد الله الذي هدانا للإسلام وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وأصلي وأسلم على رسولنا خير الأنام؛ بعثه الله هاديا ومبشرا ونذيرا، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ومن سلك نهجه واقتفى أثره إلى يوم الدين.

أمَّا بعد: فقد أجزل الله علينا نعمه تترا، فسوَّانا على خير خِلقة، ووجهنا لخير خُلق، وجعلنا لنا قدوة وصفها لنا في محكم التنزيل فقال عنه عز وجل: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:٤]، بأبي هو وأمي نبينا محمد الأمين، الذي اصطفاه ربُّنا ليكون قدوة للعالمين، في توحيد الله وامتثاله لأوامره ونواهيه، وفي تمسكه بكل خلق عظيم.

وها هو ديننا الحنيف جاءنا بالدعوة إلى كل خلق حميد، والانتهاء عن كل خلق ذميم، ومن هذه الدعوة العظيمة، أسلط الضوء على الغاية من العلاقات الإنسانية في الإسلام مقارنة بالمذهب الرأسمالي، وفي جزئية دقيقة تتحدث عن قيمة العطاء أنموذجا في بيان المصلحة الشرعية بين الغاية في إخلاص النية لله عند العطاء وابتغاء ما عند الله من الأجر والمثوبة، في مقابل الغاية من قيمة العطاء في المذهب الوضعي (الرأسمالي).

وقد اخترت أن يكون هذا البحث بعنوان (الغاية في العلاقات الإنسانية بين الإسلام والرأسمالية – قيمة العطاء أنموذجا –)، والذي أرجو من الله عز وجل أن يكتب له القبول وأن يكون بحثا يقدم إثراءً معرفيا لكل باحث ومتخصص في موضوعات الثقافة الإسلامية والمذاهب الفكرية المعاصرة.

وفيما يلي سأختصر نقاطا تتحدث عن أهمية هذا الموضوع كما يلحق بذلك خطة البحث التي يتبين من خلالها تفاصيل الموضوع وأبرز جوانبه التي ستتيح للقارئ الإلمام به وإدراك أهميته كما سيأتي بإذن الله.

- موضوع البحث ومشكلته وأسئلته:

إن الناظر في حال المجتمع الدولي على وجه العموم والمجتمعات الصغيرة على وجه الخصوص؛ لوجدها تعكس دورا اجتماعيا مترابط العلاقات على الصعيد المحلي والإقليمي؛ وسيرى اختلافا كبيرا في الغايات المبنية على تلكم الروابط والعلاقات الإنسانية.

تحقيقا لسنة كونية أراد الله أن يجعلها سمة لأنماط الأخلاقيات البشرية التي تبنى في أساسها على مبدأ العقيدة ثم الثقافة وكذلك تلحق بها التنشئة والتربية والتعليم، بما يصنع التكوين الأخلاقي للفرد في المجتمعات البشرية.

ومن هذا المنطلق اتجهت للكتابة عن قيمة العطاء واتجاهاته الحسية والمعنوية، مع مقارنة الغاية منها في العلاقات الإنسانية ما بين الإسلام ومذهب الرأسمالية، ومنه جاء هذا البحث الموسوم بـــ (الغاية من العلاقات الإنسانية بين الإسلام والرأسمالية – قيمة العطاء أنموذجا –)؛ للإجابة على الأسئلة الآتية:

١. ما التأصيل الشرعي في الإسلام لسمة الغاية، وعلاقتها بقيمة (العطاء)؟

٢. كيف نحقق الغاية الشرعية من خلال قيمة العطاء في العلاقات الإنسانية؟

٣. ما هي حقيقة الغاية في قيمة العطاء من خلال المذهب الرأسمالي؟

٤. هل الرأسمالية تحقق مبدأ العلاقات الإنسانية دون مقابل أم أن لها واقعا مختلفا؟

أهداف البحث:

١. بيان بواقع الغاية من العلاقات الإنسانية بين الإسلام والرأسمالية.

٢. الوقوف على جوانب التأصيل الشرعي لسمة الغاية، وعلاقتها بقيمة (العطاء).

٣. التعرُّف على حقيقة قيمة العطاء من خلال المقارنة بين الإسلام والرأسمالية.

٤. إدراك حقيقة العلاقات الإنسانية والغاية منها بين الشريعة والفكر الوضعي.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١. أهمية منظومة القيم في حياة الناس.

٢. معرفة التأصيل الشرعي لسمة الغاية الشرعية في العلاقات الإنسانية.
٣. بيان الغاية الشرعية من العلاقات الإنسانية وتحقيقها من خلال قيمة (العطاء).
٤. الحاجة لإدراك المقارنة بين الغاية من العلاقات الإنسانية في الإسلام والرأسمالية.

الدراسات السابقة:

الدراسات التي تناولت الحديث عن القيم الإسلامية وأيضا مقارنتها بالفكر الغربي متعددة ومتنوعة، وقد وجد الباحث عدة دراسات تطرقت للموضوع وتناولته من جوانب مختلفة، ومن أشهر تلك الدراسات، ما يأتي:

الدراسة الأولى: بعنوان (القيم بين الإسلام والغرب –دراسة تأصيلية مقارنة–)، للدكتور/ مانع بن محمد المانع، دار الفضيلة، الرياض– المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ.

والكتاب عبارة عن رسالة علمية تقدم بها المؤلف لنيل درجة الدكتوراه بقسم الثقافة الإسلامية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية؛ تناول الباحث من خلالها الحديث عن حقيقة وسمة بارزة لدين الإسلام؛ وهي ثبات القيم وعدم تغيرها، مقارنة بما وصل إليه المجتمع الغربي من تغير وتخلٍّ عن القيم من خلال الاتجاهات والمذاهب الفكرية المعاصرة.

وتتَّفق تلكم الدراسة مع هذا البحث في الحديث عن الغاية من العلاقات الإنسانية ومقارنتها بين الإسلام والمذهب الرأسمالي، إلا أنَّهما تختلفان في الأهداف والمنهج، فالدراسة الأولى ركزت على المقارنة على وجه العموم، بينما هذا البحث عُنى بالمقارنة بين الإسلام والمذهب الرأسمالي في جزئية معينة؛ من جانب الغاية من العلاقات الإنسانية من خلال قيمة العطاء بين الإسلام والرأسمالية.

الدراسة الثانية: بعنوان (قيم السلوك مع الله عند ابن القيم الجوزية)، للأستاذ الدكتور/ مفرح بن سليمان القوسي، دار التدمرية، الرياض- المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤٣٦هـ.

ويلحظ الباحث أنَّ هذه الدراسة سلطت الضوء على القيم الإسلامية التي تطرق لها الإمام ابن القيم رحمه الله؛ ومنها الحديث عن "الإخلاص" وهي أسمى غاية يتحلّى بها المسلم في عقيدته وعبادته وعلاقاته الإنسانية، وأمَّا هذا البحث فقد اهتم بمقارنة قيمة العطاء والغاية منها في العلاقات الإنسانية بين الإسلام والرأسمالية.

وقد استفدت من هذه الدراسات السابقة؛ من حيث الاطلاع على جوانب الموضوع وحصر جزئياته، والتركيز على تقديم ما هو جديد عند الحديث عن موضوع الدراسة الموسوم بـــ(الغاية من العلاقات الإنسانية بين الإسلام والرأسمالية – قيمة العطاء أنموذجا–)، مع بذل الجهد في إثراء البحث بالتأصيل الشرعي إضافة لمخرجات الدراسة المقارنة بين محوري البحث الإسلام والرأسمالية.

منهج البحث:

انتهج الباحث منهج التأصيل والمقارنة[١]، وذلك من خلال دراسة سمة الغاية في العلاقات الإنسانية وتأصيلها شرعيا، مع مقارنة قيمة (العطاء) بين الإسلام والرأسمالية؛ من حيث الغاية المتحققة شرعا وإنسانيا، والاستعانة بكل ما يثري هذا البحث من مصادر ومراجع تضفي عليه مزيدا من المعرفة العلمية بما يخدم مجال التخصص.

(١) الأبحاث المقارنة: هي التي تسعى إلى إبراز مواطن الوفاق، أو الخلاف بين قضيتين أو قضايا في موضوع واحد، مع تفسير ذلك وتعليله. وإثارة كل ما يمكن أن يمد الباحث بمعلومات مفيدة في مجال البحث. وينظر: د. فريد الأنصاري، "أبجديات البحث في العلوم الشرعية". (ط١، الدار البيضاء: منشورات الفرقان، ١٩٩٧م)، ٩٠؛ وينظر: د. عبدالوهاب إبراهيم أبو سليمان، "كتابة البحث العلمي صياغة جديدة". (ط٩، الرياض: مكتبة الرشد، ٢٠٠٥م)، ٢٥.

وثمة خطوات منهجية سار عليها الباحث تتمثل في:

- عزو الآيات القرآنية وكتابتها بالرسم العثماني.
- عزو الأحاديث النبوية إلى مصادرها.
- عزو الأقوال والنصوص إلى مصادرها، ووضع المنقول منها بين قوسين ( ).
- تعريف ما يحتاج إلى تعريف من مفردات الموضوع.
- توثيق المصادر والمراجع في الحاشية على نمط (شيكاغو- Chicago).
- وضع فهارس فنية تسهل الرجوع إلى عناصر البحث حسب المذكور في الخطة.

عناصر البحث

وتقتضي خطة البحث تقسيمه إلى: تمهيد ومبحثين وخاتمة.

التمهيد: التعريف بمصطلحات البحث. وفيه:

- **أولا:** مفهوم العلاقات الإنسانية.
- **ثانيا:** مفهوم العطاء.
- **ثالثا:** مفهوم الرأسمالية.

المبحث الأول: التأصيل الشرعي للغاية من العطاء في العلاقات الإنسانية. وفيه مطلبان:

- **المطلب الأول:** التأصيل الشرعي لقيمة العطاء في الإسلام.
- **المطلب الثاني:** التأصيل الشرعي للغاية في العلاقات الإنسانية في الإسلام.

المبحث الثاني: الغاية من قيمة العطاء بين الإسلام والرأسمالية. وفيه ثلاثة مطالب:

- **المطلب الأول:** الغاية من قيمة العطاء في العلاقات الإنسانية معنويا.
- **المطلب الثاني:** الغاية من قيمة العطاء في العلاقات الإنسانية ماديًا.
- **المطلب الثالث:** أوجه المقارنة لقيمة "العطاء" بين الإسلام والرأسمالية.

التمهيد

التعريف بمصطلحات البحث

أولا: مفهوم العلاقات الإنسانية.

هي: الرابطة التي تربط بين شخصين أو أكثر في موقف معين، بهدف إحداث التوافق بين رغبات ومطالب واحتياجات كل منهم في جو تسوده المودة والألفة والاحترام المتبادل(١).

ثانيا: مفهوم العطاء.

العطاء لغة: هو اسم للإعطاء. ورجل وامرأة معطاء: كثير العطاء. و العطية الشيء المعطى والجمع العطايا(٢).

العطاء اصطلاحا: وحقيقة العطاء هي المناولة، وهي في اللغة والاستعمال عبارة عن كل نفع أو ضر يصل من الغير إلى الغير(٣). وفي قوله عز وجل: ﴿جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا﴾ [النبأ:٣٦]؛ أي: يعطيه عطاء لا يمكن للبشر إحصاؤه(٤).

ثالثا: مفهوم الرأسمالية.

هو: نظام اقتصادي وضعي ذو فلسفة اجتماعية وسياسية مبني على مفهوم الحرية الشخصية للفرد في العمل والاكتساب وحق التملك، وذلك وفق المنفعة المحضة للذات، من غير مراعاة للدين أو حتى القيم الأخلاقية أو العلاقات

---

(١) د. أماني عبدالفتاح علي، "مهارات الاتصال والتفاعل والعلاقات الإنسانية". (ط١، مصر: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٤٣٢هـ)، ٢٠٠.

(٢) ينظر: محمد بن مكرم بن منظور، "لسان العرب". (ط٣، بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ)، ١:٤٩؛ وأبو طاهر محمد الفيروز آبادي، "القاموس المحيط". تحقيق: مكتب تحقيق التراث، (ط٨، بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، ٢٠٠٥م)، ١٣١٢؛ ومحمد بن أبي بكر الرازي، "مختار الصحاح". تحقيق: يوسف الشيخ محمد، (ط٥، بيروت: المكتبة العصرية، ١٩٩٩م)، ٢١٢.

(٣) ينظر: محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المالكي، "أحكام القرآن". (ط٣، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣م)، ٤:٤٠٥.

(٤) ينظر: الراغب الأصفهانى، "المفردات في غريب القرآن". تحقيق: صفوان عدنان الداودي، (ط١، بيروت: دار القلم، ١٤١٢هـ)، ٢٣٣.

الإنسانية. فالرأسمالية نسبة إلى رأس المال، ويراد بها منح الشخص كامل الحرية في جمع المال وفي إنفاقه بأي طريقة كانت؛ سواء عن طريق الغش، أو الاحتكار، أو الربا، أو التحايل، ولا قيمة للرحمة والعاطفة والإنسانية أو المثل العليا أو الأخلاق في سبيل الحصول على المال(١).

ومن خلال التعريف بمصطلحات البحث؛ تتضح معالم قيمة العطاء الذي ينشده الفرد من خلال العلاقات الإنسانية، بقصد الأخذ والعطاء بين أفراد المجتمع بما يجلب النفع في بيئة مجتمعية صالحة، ويسود هذه البيئة الإخاء والألفة والمودة والاحترام وهذا في نطاق الشرع والعرف.

كما يتضح أيضا من خلال مفهوم نظام الرأسمالية وما يتبعه من مادية نفعية، كونها تقصي الشعور الإنساني عن حقيقته الفطرية المبنية على العطاء بغاية الإخاء إلى اتجاهات نفعية فردية تتسم بالأنانية المعنوية والمادية كما سيتضح من خلال مطالب هذا البحث.

(١) ينظر: د. غالب بن علي عواجي، "المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها". (ط، جدة: المكتبة العصرية الذهبية، ١٤٢٧هـ)، ٢:١٢٠٠؛ ود. أحمد مختار عبد الحميد عمر، "معجم اللغة العربية المعاصرة". (ط١، عالم الكتب، ٢٠٠٨م)، ٢:٨٧٨.

المبحث الأول

التأصيل الشرعي للغاية من العطاء في العلاقات الإنسانية

المطلب الأول

التأصيل الشرعي لقيمة العطاء في الإسلام.

إن قيمة العطاء في الإسلام تعد من القيم النبيلة التي جاء الشارع الحكيم بالحث عليها، لما فيها من المبادرة بالخير وتعزيز قيم الإخاء والاحترام وتقوية العلاقات الإنسانية في المجتمع الواحد.

وقد وردت لفظة "العطاء" في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة بل وعمل بها سلف الأمة، لكون هذه القيمة لها أصل مكين في تحقيق الغاية الشرعية من العلاقات الإنسانية، كما سيتضح من خلال الأدلة الشرعية التي تبين المكانة الشرعية لقيمة "العطاء":

أولا: من القرآن الكريم:

قال تعالى في محكم التنزيل: ﴿جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا﴾ [النبأ:٣٦]. روى الإمام الطبري عن قتادة رضي الله عنهما أنه قال أي: (عطاء كثيرا، وقال مجاهد رحمه الله: عطاء من الله حسابا بأعمالهم)(١). وقال الإمام الثعلبي رحمه الله: (جزاء من ربك عطاء حسابا كثيرا كافيا وافيا)(٢).

ثانيا: من السنة النبوية:

فقد روى الإمام مسلم رحمه الله عن عاصم ﷺ قال: «ما سئل رسول الله ﷺ على الإسلام شيئا إلا أعطاه، قال: فجاءه رجل فأعطاه غنما بين جبلين، فرجع إلى قومه، فقال: يا قوم أسلموا، فإن محمدا يعطي عطاء لا يخشى الفاقة»(٣).

---

(١) ينظر: محمد بن جرير الطبري، "جامع البيان في تأويل القرآن". تحقيق: أحمد محمد شاكر، (ط١، ٢٠٠٠م)، ٢٤:١٧٤.

(٢) ينظر: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، "الكشف والبيان عن تفسير القرآن". تحقيق: أبي محمد بن عاشور، (ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠٢م)، ١٠:١١٨.

(٣) أخرجه: أبو الحسين مسلم بن الحجاج، "المسند الصحيح". (بيروت: دار الجيل، ١٣٣٤ه)، كتاب فضائل النبي صلى الله عليه وسلم، باب في عطائه صلى الله عليه وسلم، رقم الحديث (٦٠٨٩)، ٧:٧٥.

وروى الإمام مسلم رحمه الله عن سعيد بن المسيب ﷺ، أن صفوان ﷺ قال: «والله لقد أعطاني رسول الله ﷺ ما أعطاني، وإنه لأبغض الناس إلي، فما برح يعطيني حتى إنه لأحب الناس إلي»(١).

وفي الأحاديث النبوية بيان لمكانة قيمة العطاء في الإسلام، كما دل عليه فعل النبي ﷺ، وكيف أورث في النفوس شمائل المحبة والألفة، وبما كان له بالغ الأثر في تقوية العلاقات الإنسانية بين الأفراد بما يحقق الإخاء والبذل في سبيل العقيدة ونشر الدعوة إلى الله وهي أسمى الغايات وأجل القربات.

ثالثا: من أقوال السلف الصالح:

لقد فهم سلفنا الصالح معنى قيمة العطاء؛ بما توافرت من أدلة الكتاب والسنة النبوية، فكانوا أكثر الناس كرما وعطاء، وتمسكا بمنهج النبي المعطاء الكريم، ومن خلال فهمهم لهذا المعنى العظيم لقيمة العطاء؛ روى الإمام الذهبي رحمه الله: (ما استحق اسم السخاء من ذكر العطاء)(٢). مبينا أن العطاء له منازل ودرجات؛ ولا يصل المرء لمنزلة السخاء إلا إذا كان متسما بالكرم والبذل وأجزل العطاء.

وروى الإمام الأصبهاني: (مكتوب في الحكمة لتكن كلمتك طيبة وليكن وجهك بسطا تكن أحب إلى الناس ممن يعطيهم العطاء)(٣). وفيه دلالة على حب الناس للعطاء، ومدى تأثرهم وسعادتهم به، وأن الكلمة الطيبة وبشاشة الوجه لمن أميز العطايا التي يهبها الناس لبعضهم البعض، مما يورث في النفس السرور وتقوي العلاقات الإنسانية.

---

(١) المرجع نفسه. كتاب فضائل النبي صلى الله عليه وسلم، باب في عطائه صلى الله عليه وسلم، رقم الحديث (٦٠٨٦)، ٧:٧٤.

(٢) شمس الدين أبو عبد الله محمد الذهبي، "العبر في خبر من غبر". تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، (بيروت: دار الكتب العلمية ، بدون سنة طبع)، ١: ٣٨٠.

(٣) أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، "حلية الأولياء وطبقات الأصفياء". (بيروت: الكتب العلمية، ١٤٠٩هـ)، ٢:١٧٨.

المطلب الثاني

التأصيل الشرعي للغاية في العلاقات الإنسانية في الإسلام

لقد ميز الله عز وجل خاتم شرائعه السماوية بأسمى غايات الجمال، بعد التمام والكمال؛ لتكوين علاقات إنسانية مبناها على -تقوى الله عز وجل في التعارف والتآلف بين الناس- من خلال قيمة "العطاء"، فكانت هي الغاية لتحقيق مبدأ الإخاء بين أفراد المجتمع، لضمان تعايش الناس فيما بينهم في بيئة يسود عراها الأمن والطمأنينة والسلام، وذلك بإرساء العدل وفق شريعة رب العباد حفظا للحقوق وحماية لأوجب الضرورات بين الناس مما كفله الشارع الحكيم. قال الإمام الشاطبي رحمه الله تعالى: (اتفقت الأمة بل سائر الملل على أن الشريعة وُضعت للمحافظة على الضروريات الخمس وهي: الدين، والنفس، والنسل، والمال، والعقل)[١]

وإن في حفظ هذه الضرورات حيادا عن الوقوع في براثن الرغبات الفردية والمادية التي تخلق التنافر والتدابر بين أفراد المجتمع؛ لما فيها من الأنانية والتعدي على حقوق الآخرين، فتندثر الغاية من العلاقات الإنسانية بضياع الحقوق وانتزاع التقوى من القلوب. ولذا فإنه (لا يمكن أن تجد حياة إنسانية كريمة؛ إلا بالمحافظة على هذه الضروريات، ولذلك كان المقصد الأول للشريعة إقامتها)[٢].

ويتبين التأصيل الشرعي للغاية في العلاقات الإنسانية في الإسلام من خلال أدلة الكتاب والسنة:

أولا: من القرآن الكريم:

لقد أوجد الله البشرية على هذه البسيطة لغايات كونية سامية، ترقى بالبشرية عن بقية الأجناس في هذا الكون، فميزهم رغم اختلافهم بالحث على التعارف والائتلاف فيما بينهم على مبدأ التقوى؛ قال الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ

(١) إبراهيم بن موسى الشاطبي، "الموافقات". تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، (ط١، دار ابن عفان، ١٩٩٧م)، ١: ٣١.

(٢) ينظر: د. حمَّادي العبيدي، "الشاطبي ومقاصد الشريعة". (ط١، بيروت: دار قتيبة، ١٩٩٢م)، ١٢٠.

وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحُجُرات:١٣]، الشعوب: الأجناس، والقبائل: قبائل العرب(١).

وتشير الآية إلى أن الإنسانية رغم ما فيها من اختلاف في الأجناس والألوان والأديان؛ تعتبر مترابطة فيما بينها، فلا بد للمسلمين إذن من التعارف مع غيرهم، ومن التعاون مع كل من يجنح إلى التعاون معهم على ما فيه خير الإنسانية عموما، وخير الإسلام خصوصا(٢). وهذا من تمام العدل والإخاء بين الناس.

ثانيا: من السنة النبوية:

لقد تواترت الأحاديث النبوية وتوافرت على الحث على القيم العالية الرفيعة، وقد أجزل الشارع الحكيم أجمل العطايا والهبات كل من تمسك بها لا سيما الانفاق والكرم والسخاء، ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم: «ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما اللهم أعط منفقا خلفا ويقول الآخر اللهم أعط ممسكا تلفا»(٣).

نقل ابن حجر قول الإمام النووي رحمهما الله: والإنفاق الممدوح ما كان في الطاعات وعلى العيال والضيفان والتطوعات(٤). ففي الإنفاق كمال العطاء، واستجلاب للنفع بين الناس وتقوية للعلاقات الإنسانية، وعليه يجازي المولى عز وجل بالأجر والمثوبة.

---

(١) شمس الدين أبو عبد الله محمد الذهبي، "سير أعلام النبلاء". تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، (ط ٣: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ)، ١٢: ٥١٢.

(٢) ينظر: محمد الناصري، "التيسير في أحاديث التفسير"، (ط١، لبنان: دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٥م)، ٦: ٦٥.

(٣) أخرجه: محمد بن إسماعيل البخاري، "صحيح البخاري". تحقيق: مصطفى ديب البغا، كتاب الزكاة، باب قول الله تعالى: (ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ)، (حديث رقم: ١٣٧٤)، (ط٣، لبنان: دار ابن كثير، ١٩٨٧م)، ٢: ٥٢٢.

(٤) ابن حجر العسقلاني، "فتح الباري شرح صحيح البخاري". قوله باب قول الله تعالى: (ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ)، (لبنان: دار المعرفة، ١٩٥٩م)، ٣: ٣٠٥.

ولقد اهتم النبي ﷺ بالعلاقات الإنسانية وتحقيق الغاية منها، من خلال عطائه الذي امتدّ ليشمل كل من حوله من ذوي القربى والمناصرين له وحلفائه وحتى أعدائه كل ذلك تحقيق لغايته النبيلة في نشر الإسلام وتكوين علاقات إنسانية متينة مبنية على تقوى الله عز وجل، وعلى ذلكم وصفت أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها –النبي صلى الله عليه وسلم– بقولها: «إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق»[١]. فكل هذه الخصال الحميدة تحقق الغاية من العلاقات الإنسانية.

(١) أخرجه: محمد بن إسماعيل البخاري، "صحيح البخاري". بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم، (حديث رقم: ٣)، ١: ٤.

المبحث الثاني

الغاية من قيمة العطاء بين الإسلام والرأسمالية

لقد امتن الله عز وجل على عباده بكمال الشريعة وهداهم لأحسن الأقوال والأفعال، ومن تمام هذه المنة العظيمة أن بعث فيهم رسولا من أنفسهم حريصا عليهم بالمؤمنين رؤوف رحيم؛ ومن حرصه عليه الصلاة والسلام أن وجه أمته لأحسن الأخلاق؛ بل جعلها محط قياس بين الناس بالقرب منه أو البعد عنه يوم القيامة، وعن أهمية الأخلاق قال المصطفى ﷺ: «إنما بعثت لأتمم صالحي الأخلاق» وفي رواية الإمام أحمد: «صالح الأخلاق»(١).

وإن من أصلح القيم والأخلاق النبيلة قيمة "العطاء"؛ التي لها مرادفاتها القيمية من الكرم والجود والسخاء والإحسان وغيرها مما تدعوا لحصول التآلف والإخاء بين الأفراد في مجتمعاتهم بتنوع أطيافهم وثقافاتهم المتعددة.

وعليه تتضح الغاية النبيلة من هذه القيمة العظيمة في تحقيق العلاقات الإنسانية معنويا وماديا، مع إدراك حقيقة هذه الغاية بالمقارنة بين الإسلام كتشريع رباني ونظام الرأسمالية كمذهب إنساني، وذلك من خلال الثلاثة مطالب التالية:

(١) أخرجه: محمد بن إسماعيل البخاري، "الأدب المفرد". تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، (ط٣، بيروت: دار البشائر الإسلامية، ١٩٨٩م)، رقم الحديث (٢٧٣)، ١٠٤؛ وأحمد بن حنبل، "مسند الإمام أحمد بن حنبل". تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، (ط٢، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٩م)، رقم الحديث (٨٩٥٢)، ١٤:٥١٢. وصححه الألباني.

المطلب الأول

الغاية من قيمة العطاء في العلاقات الإنسانية معنويا

إن لمرادفات قيمة العطاء ومضمونه؛ لمعان أخلاقية معنوية، الأصل فيها أن العطاء يكون نابعا عنها ومنها؛ بمعنى! أن عطاء الإنسان منه لإنسان آخر كان فردا أو جماعة فإنه يغلب عليه أخلاقيات قلبية كالحب ورغبة فعل الخير والإحسان المبني على الأخوة واستشعار المسؤولية.

ولقد حث الإسلام على العطاء من خلال هذه القيم التي تعزز من العلاقات الإنسانية، وتحقق الغاية منها، وهو تآخي البشرية فيما بينها على تقوى الله عز وجل وبما يحقق العبودية لله وحده لا شريك له. وستتضح المقارنة بين الإسلام والرأسمالية في الغاية من قيمة العطاء في العلاقات الإنسانية معنويا؛ من خلال المسألتين التاليتين:

المسألة الأولى: العطاء المعنوي "بالمحبة" في الإسلام:

فعلى سبيل المثال العطاء في الحب، وهو أمر معنوي ويصحبه شعور وجداني، ينعكس على هذه المحبة تعامل الفرد مع الآخر بما يحدد نوع العلاقة الإنسانية والغاية منها، ما إذا كانت غاية نبيلة مشروعة، أم كانت الغاية لتحقيق مصلحة فردية، ولذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار»[١]. متفق عليه.

(١) أخرجه: محمد بن إسماعيل البخاري، "صحيح البخاري". كتاب الإيمان، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم، (حديث رقم: ١٦)، ١: ١٤؛ وأبو الحسين مسلم بن الحجاج، "المسند الصحيح". كتاب الإيمان، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان، رقم الحديث (٧٤)، ١:٤٨.

فغاية المرء لإنسان آخر غاية ربانية؛ كونها مبنية على المحبة لله عز وجل خالية من المصالح الدنيوية، وهذا ما تميزت به الغاية في العلاقات الإنسانية بين الإسلام والرأسمالية في العطاء الوجداني والذي يمثله "الحب" في هذا السياق.

المسألة الثانية: العطاء المعنوي "بالمحبة" في الرأسمالية:

إن المتأمل في وجدانيات المشاعر في الحياة الاجتماعية التي تسودها المذاهب الفكرية المعاصرة؛ لا سيما الرأسمالية سيجد! (أن من شأن انفعالات الحب والفرح وكذا الحزن والكره أنها لا يمكنها أن تحملنا على القيام بأي عمل إلا عن طريق الرغبة التي تثيرها .. باعتبار أن الرغبة الإنسانية هي من تنظم العادات والأخلاق، وعليه يقوم النفع الرئيس لعلم الأخلاق)[١].

ولذا فإن العطاء في المحبة بين فرد وآخر مبني على الرغبة الإنسانية التي تعود بالنفع، وهو المقياس الأخلاقي في النظام الرأسمالي، فعلى إثر ذلك تقاس المحبة المتبادلة لتحقيق مصلحة ما نظرا للحاجة الاجتماعية.

ومن هذا المنطلق فقد أدّى النظام الرأسمالي إلى تفكك اجتماعي، مولدا صراعا طبقيا في العديد من المجتمعات، وإلى شيوع الحقد بين الناس؛ نتيجة للاستغلال بين الطبقات، وتفشي الأمراض النفسية العديدة بين أفراده، وتغيير العديد من قيمهم، نتيجة حب الذات، وضياع الغاية النبيلة من العطاء الوجداني بين أفراد المجتمع[٢].

(١) ينظر: رينيه ديكارت، "انفعالات النفس". ترجمة: جورج زيناتي، (ط١، بيروت: دار المنتخب العربي، ١٩٩٣م)، ٨٩.

(٢) ينظر: اقبال الغربللي، "أساسية القيم في تكوين نفسية الشعوب المعاصرة". (ط١، الكويت: ٢٠٠٠م)، ١٨٩.

المطلب الثاني
الغاية من قيمة العطاء في العلاقات الإنسانية ماديًّا

إن المتأمل في عصرنا الحاضر، وما طرأت عليه من المادية المفرطة، التي جعلت من القيم الأخلاقية مقياسا عاليا في مواجهة المصلحة المادية المحضة، فلكل إنسان متطلباته وحاجياته المادية التي يطمح لتوفيرها، ومن هنا تتبين حقيقة الغاية في العلاقات الإنسانية في الاتجاه المادي بين الإسلام والرأسمالية.

وسأسلط الضوء على قيمة العطاء في "الصدقة"، ولما لها من جانب مادي له أثره البالغ في تعزيز العلاقات الإنسانية بين أفراد المجتمع، وسأسميها هنا "البذل المالي"؛ لعدم توافر مصطلح الصدقة في النظام الرأسمالي كغاية شرعية يرتجي المرء منها الثواب؛ بل لها غايات نفعية كما ستتضح من خلال المقارنة بين الإسلام والرأسمالية في الغاية من قيمة العطاء في العلاقات الإنسانية ماديا؛ وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: العطاء المادّي "البذل المالي" في الإسلام:

فمن جميل قيمة العطاء في الإسلام البذل المالي الذي له عدة وجوه منها الصدقة والزكاة وإكرام الضيف والإنفاق بأنواعه مما يرجو المرء منه الثواب من الله عز وجل إخلاصا وإدراكا لما لها من تقوية أواصر الإخاء بين المسلمين، وهي أسمى غاية في تكوين العلاقات الإنسانية، ومنه فعل النبي ﷺ عندما كان يتألف قلوب الناس بالعطاء المادي إحسانا لهم ولترغيبهم في الدخول في الإسلام، فقد روى الإمام مسلم رحمه الله عن عاصم ﷺ قال: «ما سئل رسول الله ﷺ على الإسلام شيئا إلا أعطاه، قال: فجاءه رجل فأعطاه غنما بين جبلين، فرجع إلى قومه، فقال: يا قوم أسلموا، فإن محمدا يعطي عطاء لا يخشى الفاقة»(١).

(١) أخرجه: أبو الحسين مسلم بن الحجاج، "المسند الصحيح". كتاب فضائل النبي صلى الله عليه وسلم، باب في عطائه صلى الله عليه وسلم، رقم الحديث (٦٠٨٩)، ٧:٧٥.

وذلك على النقيض من البذل المادي في النظام الرأس مالي، لكون الإسلام قد حث على الصدقة ورغب فيها، لما فيها من استشعار المسؤولية المجتمعية من المقتدر وصاحب الما تجاه الفقراء والمساكين وذوي الحاجة، فالصدقة هي من تمام البر والصلة، قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة:١٠٣].

ومن آثار الصدقة في تحقيق الغاية من العلاقات الإنسانية في الإسلام ما يلي:

١- تسهم في تعزيز التكافل الاجتماعي وتوفر بيئة تعاونية متماسكة.

٢- تساعد في تخفيف المعاناة عن أفراد المجتمع من المحتاجين والمتعففين.

٣- تطهر قلوب الفقراء والمساكين من الأحقاد، وتطهر قلوب المتصدقين من الشح والبخل، مما يحسن العلاقات الإنسانية.

٤- تولد الشعور بالطمأنينة والراحة لدى المتصدقين، وبما ينعكس على تحسين جودة حياة المحتاجين، وذلك بما يعزز العلاقات الإنسانية ويحقق الغاية الربانية منها.

والصدقة إصلاح وتزكية للمجتمع قال النبي ﷺ : «قال رجل لأتصدقن بصدقة فخرج بصدقته فوضعها في يد سارق فأصبحوا يتحدثون تصدق على سارق، فقال اللهم لك الحمد. لأتصدقن بصدقة فخرج بصدقته فوضعها في يد زانية، فأصبحوا يتحدثون تصدق الليلة على زانية، فقال اللهم لك الحمد على زانية؟ لأتصدقن بصدقة فخرج بصدقته فوضعها في يدي غني، فأصبحوا يتحدثون تصدق على غني، فقال اللهم لك الحمد، على سارق وعلى زانية وعلى غني فأتي فقيل له: أما صدقتك على سارق فلعله أن يستعف عن سرقته، وأما الزانية فلعلها أن تستعف عن زناها، وأما الغني فلعله يعتبر فينفق مما أعطاه الله»[1]. وذلكم من تمام الغايات في العلاقات

(١) أخرجه: محمد بن إسماعيل البخاري، "صحيح البخاري". كتاب الزكاة، باب إذا تصدق على غني وهو لا يعلم، (حديث رقم: ١٣٥٥)، ٢: ٥١٦.

الإنسانية وغاية حصول الخير من العطاء في سبيل الله فمنه يتحصل الهدى وتحل الرحمة ويعقبها الفضل والإحسان والإنعام بين المتصدق والمتصدق عليه. ومنه قال ابن القيم رحمه الله: (فالهدى والرحمة وتوابعها من الفضل والإنعام كله من صفة العطاء)[١].

كما أن الشارع الحكيم قد حذر من مخالفة هذه الغاية العظيمة من العطاء، كي لا يشوب القلب مخالطة حب الإنفاق إخلاصا لوجه الله تعالى أي شائبة كالوقوع في الرياء وطلب الثاء والمديح، فتكون الغاية دنيوية بحتة ونفعية محضة؛ كما قال الله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٦٤ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثۡبِيتٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ كَمَثَلِ جَنَّةِۭ بِرَبۡوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٞ فَـَٔاتَتۡ أُكُلَهَا ضِعۡفَيۡنِ فَإِن لَّمۡ يُصِبۡهَا وَابِلٞ فَطَلّٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [البقرة:٢٦٤-٢٦٥].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: أخبر -الله عز وجل- أن صدقة المرائي والمنان باطلة لم يبق فيها منفعة له[٢]. وفي معرض الذم ذكر غايته؛ وذكر ما يقابله وهم الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا من أنفسهم، فالأول الإخلاص[٣]. وهو الغاية.

المسألة الثانية: العطاء المادّي "بذل المال" في الرأسمالية:

إن الناظر في حال المذاهب الفكرية المعاصرة وما أتت به من تبعات على الحياة الاجتماعية في الغرب؛ سيلحظ البون الكبير بين المعاني القيمية من حيث الكنه والتطبيق، كما هو حال البذل المادّي في النظام الرأسمالي، وباعتبار من يعدها

(١) محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، "الفوائد". (ط٢، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٧٣م)، ١٣٤.
(٢) أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، "مجموع الفتاوى". تحقيق: أنور الباز وعامر الجزار، (ط٣، موقع الإسلام: دار الوفاء، ٢٠٠٥م)، ١١: ٣٤٨.
(٣) المرجع نفسه، ١٤: ٩٤.

صدقة فلا إنكار بأن المجتمع الغربي يقدم العطايا المالية للمحتاجين وللجمعيات التي تقدم خدمات اجتماعية، ولكن الفرق يبدو جليا في حقيقة الغاية من هذا البذل المادّي، وارتباطه بالعلاقات الإنسانية في المجتمع؛ مع اتسام المجتمع الغربي بالأنانية وتحقيق المنفعة الفردية.

وبالتأكيد أن الأنانية؛ سواء أكانت فردية أم خاصة بفئة معينة، أدت إلى كثير من التوتر والجفاء في المجتمعات الرأسمالية(١). وهذ ما يسود المجتمعات الغربية غالبا مع تسامي الاتجاه المادي في الحياة الاجتماعية، وضياع المبادئ والقيم الدينية؛ مع العمق الفكري لاتجاهات المذاهب الفكرية المعاصرة كالرأسمالية ومبادئها المبنية على "الميكافيلّية"(٢)، لتحقيق الغاية في العلاقات الإنسانية، (حتى انتشر الإلحاد والفساد والفقر في المجتمع الغربي) (٣).

ولذا فإن أرباب الأموال والطبقة المتملكة في المجتمع الغربي عندما يرغبون في إنفاق الأموال وبذلها للمحتاجين وللجمعيات الخيرية في المجتمع؛ تكون الغاية منها كوسيلة لتحقيق مصالح أخرى ذات طابع دنيوي، مثل الشركات التي تخرج جزءا من فائض الميزانية لديها، وذلك لتحقيق شعبية تسويقية بين أفراد المجتمع، أو الوصول إلى عضوية في أحد المجالس السياسية في النظام الحاكم، أو ما يجعل لها صورة إيجابية في أذهان المجتمع.

---

(١) ينظر: مسيمو سلفدوري، "الرأسمالية الأمريكية رأي متحرر". (مصر: مكتبة النهضة المصرية، بدون سنة طبع)، ١٠٧.

(٢) المكيافيلّية: هي نسبة إلى الفيلسوف نيكولا مكيافيلّي فهو لم يكن مجرد كاتب وصاحب نظرية؛ بل ألف كتابا أسماه "الأمير"، وقد أصبح هذا الكتاب الصغير منذ ظهوره في القرن السادس عشر مثار جدل كبير، كما أصبح مادة ضرورية لدراسة علم السِّياسة في عصر النهضة، وعلى الرغم من اشتماله على عدد كبير من المبادئ والمفاهيم السِّياسية، إلا أن الخلاف لايزال يدور حول ما فيه من مضامين أخلاقية، وقد عدَّه علماء الأخلاق وخاصة في بريطانيا وفرنسا كتابا مناسبا فقط للطغاة والأشرار. ينظر: نيكولا مكيافيلّي، "الأمير". ترجمة: أكرم مؤمن، (القاهرة: مكتبة ابن سينا، بدون سنة طبع)، ١٢-٤.

(٣) ينظر: د. حامد محمود مرسي، "الحضارة الرأسمالية الغربية". (ط١،القاهرة: دار الطلائع، ٢٠٠٩م)، ٩٩.

فالغاية هنا من البذل المادي هي غاية دنيوية محضة، وكذا الحال أيضا على المستوى الفردي الذي قد تجد فيه الفرد يبذل الأموال لبعض المحتاجين، على أساس تحقيق غاية فردية تعود عليه بالنفع.

المطلب الثالث

أوجه المقارنة لقيمة العطاء بين الإسلام والرأسمالية

وفيما يلي مقارنة بين الإسلام والرأسمالية في قيمة العطاء بعدة اعتبارات يتبين من خلالها حقيقة الغاية من العطاء عموما، والغاية في العلاقات الإنسانية على وجه الخصوص؛ لا سيما للمتأمل في واقع القيم في المذاهب الفكرية المعاصرة كالرأسمالية جملة وتفصيلا.

جدول لبيان أوجه المقارنة

أوجه المقارنة	الإسلام	الرأسمالية
باعتبار المصدر	ربانية المصدر	التجربة الإنسانية
باعتبار القيمة	ذات قيمة عالية	لا قيمة لها
باعتبار المصلحة	تحقيق المصلحة الشرعية	تحقيق المصلحة الدنيوية
باعتبار المنفعة	منفعة الجماعة مقدمة	تقديم المنفعة الفردية
باعتبار الثبات	قيم ثابتة	قيم متغيرة
باعتبار المرونة	تقبل المرونة	لا تقبل المرونة
باعتبار الجزاء	يترتب عليها جزاء دنيوي وأخروي	قد يترتب عليها جزاء دنيوي

فالقيم على وجه العموم لا غنى لها عن مصدرها الأصيل الذي يوجهها لتحقيق العدل والإنصاف والإخاء بين البشر، والمستمدة من شريعة المولى عز وجل العليم بأحوال عباده الخبير بحاجاتهم المعنوية والمادية، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيۡبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [فاطر:٣٨].

ولا تتحقق مصالح العباد إلا بما وافق مقتضى الشارع الحكيم من الأمر والنهي، من التزام القيم التي أمرنا الشارع الحكيم بالتمسك بها واجتناب ما نهى عنه وزجر، فكل الهدي في الخير الذي أمرنا به وحثنا عليه دون اجتهاد منا فيما جاءت الشريعة بلزومه والعمل به، كالتزام صفة العطاء لما فيها من تحقيق الغاية من العلاقات الإنسانية وتقوية أواصر الصلة والتراحم والتآخي. ذكر الإمام النويري رحمه الله: (من جاد بنفسه عند اللقاء، وبماله عند العطاء، فقد جاد بنفسيه كلتيهما)[١]. وفي ذلكم إشارة إلى أن الكرم والجود وبذل النفس من أعلى سمات العطاء التي توازي النفس قيمة وسموا، وليس هنالك ما هو أغلى من النفس البشرية، ومنها يتولد الإخاء من خلال تحقيق الغاية من العلاقات الإنسانية.

(١) ينظر: أحمد بن عبد الوهاب النويري، "نهاية الأرب في فنون الأدب". (ط١، القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، ١٤٢٣هـ)، ٣:٢١٤.

الخاتمة

الحمد لله الذي أنعم علينا بأحسن الأخلاق وأقومها، وبعث إلينا خاتم الأنبياء والمرسلين ووصفه بالخلق العظيم، وأنزل علينا كلامه المبين القرآن الكريم، مفصلا فيه الحلال والحرام وحاثا على مكارم الأخلاق وهو بكل خلق عليم، وأصلي وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين، هاديا ومبشرا ونذيرا وقدوة لعباد الله الصالحين وبعد... فمن خلال ما تقدم بيانه في هذه الدراسة فإني قد خلصت منها بنتائج وتوصيات سأورد أهمها كما يلي:

أهم النتائج

- أهمية الغاية الربانية في العلاقات الإنسانية وفق مراد الله.
- بيان دور قيمة "العطاء" في تحقيق التآخي والألفة والمودة بين الناس.
- أنَّ قيمة "العطاء" تعد من أعلى القيم حثا على تقوية العلاقات الإنسانية في الثقافات المتعددة سواء أكانت مجتمعات إسلامية أو غير إسلامية.
- أن قيمة "العطاء" في المذهب الرأسمالي يتسم بالبون بين الواقع وحقيقة المبدأ النفعي الذي لا يدرك إلا المصلحة الفردية المحضة.

أهم التوصيات

- يجب على الباحثين الاهتمام بالقيم الإسلامية ومقارنتها مع الفكر الغربي لاسيما مع تعدد وسائل الغزو الفكري لقيمنا الإسلامية.
- لابد من العناية بالقيم الإسلامية وإبرازها وبيان محاسنها التي تحفظ للمجتمع أمنه وسلامه الفكري والديني.
- إبراز دور قيمة "العطاء" في العلاقات الإنسانية بما يحقق مصالح العباد وفق ما جاءت به الشريعة الإسلامية السمحة ومقارنتها بالأفكار الغربية كالمذهب الرأسمالي؛ لإدراك حقيقة الغايات والمآلات.

المصادر والمراجع

- إبراهيم أبو سليمان، د. عبدالوهاب. "كتابة البحث العلمي صياغة جديدة". (ط٩، الرياض: مكتبة الرشد، ٢٠٠٥م).

- ابن الحجاج، أبو الحسين مسلم. "المسند الصحيح". (بيروت: دار الجيل، ١٣٣٤ه).

- ابن حنبل، أحمد. "مسند الإمام أحمد بن حنبل". تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، (ط٢، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٩م).

- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر. "الفوائد". (ط٢، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٧٣م).

- ابن منظور، محمد بن مكرم. "لسان العرب". (ط٣، بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ).

- الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله. "حلية الأولياء وطبقات الأصفياء". (بيروت: الكتب العلمية، ١٤٠٩هـ).

- الأصفهانى، الراغب. "المفردات في غريب القرآن". تحقيق: صفوان عدنان الداودي، (ط١، بيروت: دار القلم، ١٤١٢هـ).

- الأنصاري، د. فريد. "أبجديات البحث في العلوم الشرعية". (ط١، الدار البيضاء: منشورات الفرقان، ١٩٩٧م).

- البخاري، محمد بن إسماعيل. "الأدب المفرد". تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، (ط٣، بيروت: دار البشائر الإسلامية، ١٩٨٩م).

- البخاري، محمد بن إسماعيل. "صحيح البخاري". تحقيق: مصطفى ديب البغا، (ط٣، لبنان: دار ابن كثير، ١٩٨٧م).

- الثعلبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم. "الكشف والبيان عن تفسير القرآن". تحقيق: أبي محمد بن عاشور، (ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠٢م).

- الحراني، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية. "مجموع الفتاوى". تحقيق: أنور الباز وعامر الجزار، (ط٣، موقع الإسلام: دار الوفاء، ٢٠٠٥م).

- ديكارت، رينيه. "انفعالات النفس". ترجمة: جورج زيناتي، (ط١، بيروت: دار المنتخب العربي، ١٩٩٣م).

- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد. "العبر في خبر من غبر". تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، (بيروت: دار الكتب العلمية ، بدون سنة طبع).

- الرازي، محمد بن أبي بكر. "مختار الصحاح". تحقيق: يوسف الشيخ محمد، (ط٥، بيروت: المكتبة العصرية، ١٩٩٩م).

- سلفدوري، مسيمو، "الرأسمالية الأمريكية رأي متحرر". (مصر: مكتبة النهضة المصرية، بدون سنة طبع).

- الشاطبي، إبراهيم بن موسى. "الموافقات". تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، (ط١، دار ابن عفان، ١٩٩٧م).

- شمس الدين أبو عبد الله محمد الذهبي. "سير أعلام النبلاء". تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، (ط ٣: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ).

- الطبري، محمد بن جرير. "جامع البيان في تأويل القرآن". تحقيق: أحمد محمد شاكر، (ط١، ٢٠٠٠م).

- العبيدي، د. حمَّادي. "الشاطبي ومقاصد الشريعة". (ط١، بيروت: دار قتيبة، ١٩٩٢م).

- العسقلاني، ابن حجر، "فتح الباري شرح صحيح البخاري". (لبنان: دار المعرفة، ١٩٥٩م).

- علي، أماني عبدالفتاح. "مهارات الاتصال والتفاعل والعلاقات الإنسانية".

(ط١، مصر: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٤٣٢هـ).

– عمر، د. أحمد مختار عبد الحميد. "معجم اللغة العربية المعاصرة". (ط١، عالم الكتب، ٢٠٠٨م)، ٢:٨٧٨.

– العواجي، د. غالب بن علي. "المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها". (ط، جدة: المكتبة العصرية الذهبية، ١٤٢٧هـ).

– الغربللي، اقبال. "أساسية القيم في تكوين نفسية الشعوب المعاصرة". (ط١، الكويت: ٢٠٠٠م).

– الفيروز آبادي، أبو طاهر محمد. "القاموس المحيط". تحقيق: مكتب تحقيق التراث، (ط٨، بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، ٢٠٠٥م).

– المالكي، محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي. "أحكام القرآن". (ط٣، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣م).

– مرسي، د. حامد محمود. "الحضارة الرأسمالية الغربية". (ط١،القاهرة: دار الطلائع، ٢٠٠٩م).

– مكيافيلِّي، نيكولا. "الأمير". ترجمة: أكرم مؤمن، (القاهرة: مكتبة ابن سينا، بدون سنة طبع).

– الناصري، محمد. "التيسير في أحاديث التفسير"، (ط١، لبنان: دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٥م).

– النويري، أحمد بن عبد الوهاب. "نهاية الأرب في فنون الأدب". (ط١، القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، ١٤٢٣هـ).